قصة واقعية :

أعرابيّ فى حمام ...

للأستاذ على الطنطاوى

صحبنا فى رحلتنا البرية إلى الحجاز ، دليل شيخ من أعراب نجد ، يقال له « صُلَيبيّ » ما رأيت أعرابياً مثله ، قوة جنان ، وفصاحة لسان ؛ ولولا مكان النبرة البدوية من لسانه ، لقلت قد انصرف الساعة من سوق عكاظ لبيان لهجته ، وقوّة عارضته ، وكثرة ما يدور على لسانه من الفصيح . . . وكان أبيّ النفس ، أشم المعطس ، عالى الهمة ، كريم الطباع ، لكن فيه جفوة الأعراب . . .

رافقنا أياماً وليالى ، فما شئنا خلة من خلال الخير إلا وجدناها فيه : كان يواسينا إذا أمسينا ، ويؤثرنا إذا أضقنا ، ويحمينا إذا هوجمنا ، ويحرسنا إذا نمنا ، ويقنع إذا قسمنا ، ويشكر إذا أعطينا ، ويصبر إذا منعنا ، ويعذر إذا اعتذرنا ، ويعفو اذا أسأنا ، ويلين إذا اشتددنا ، ولا يشتدّ إذا لنّا . . . على خفة روح ، وسرعة جواب ، ونكتة حاضرة ، وشجاعة نادرة . . . قلنا له مرة :

ـ إن « صُلبة » فى عرب اليوم ، « كباهلة » فى عرب الأمس ، قبيلة لئيمة خسيسة ، يأنف الكرام من الانتساب اليها ، وأنت فيما علمنا سيد كريم ، من سادة كرام ، وليس لك فى هذه القبيلة نسب ، فما بالك تدعى « صُلبيّ » ولا تغضب ؟

ـ فقال : صدقتم والله ، ما أنا من « صُلبة » ولا « صُلبة » منى ، وإنى لكريم العمّ والخال ، ولكن لهذا الاسم قصة أنا قاصّها عليكم

ـ قلنا له : هات

ـ قال : كان أبواى مُشكلَين لا يعيش لهما ولد ، فلما رزقا بى تاسع تسعة ماتوا جميعاً ، وأعجزتهما الحيلة ، احتسبا عند الله مصيبتهما بذل الاسم ، وسمياني صُلبيّ

ـ قلنا : أن سماك صُلبى عشت ؟

ـ قال : نعم ! إن عزرائيل أكرم من أن يقبض روح صُلبى ؟ وأرفع من أن يمسه بيد . . .

ـ وسألناه مرّة : هل أنت متزوج بامرأة صُلبى ؟

ـ قال : لقد كنت متزوجاً بشرّ امرأة تزوجها رجل ، زلت أحسن اليها وتسيء إلىّ حتى ضقت باحتمالها ذرعاً فطلقتها ثلاثاً وثلاثين

ـ قلنا : إنها تبين منك بثلاث ، فلم الثلاثون ؟

ـ قال : صدقة منى على الأزواج المساكين الذين لا يجدون ما يطلقون . . .

وطال بنا الطريق إلى تبوك ، وكاد ينفد ما كان معنا من ماء ، وخشى القوم الموت ، فأقبلوا كلهم على صُلبى ، يتذمرون من بُعد تبوك وطول الطريق ، فتركهم حتى إذا نفض كلّ جعبته قال لهم ضاحكاً :

معكم الحق ، إنها بعيدة ، ولكنى أقسم لكم بالله إنى لم أضع أنا هناك . . . وليس لى فى بعدها يدان

ولم يكن صُلبيّ يعرف المدن الكبيرة ، ولم يفارق الصحرا قط إلا إلى حاضرة تبوك (وتبوك قرية فيها ستون بيتاً . . . فلما بلغنا ـ قافلين ـ مشارف الشام ، أغريناه بدخول المدينة وجعلنا نصف له الشام : رياضها وأنهارها ، وعظمها وعمرانها ، فيأبى ؛ وكنت صفيّه من القوم وخليله ونجيّه ، فجاءت أحاوله وأداوره وبذلت فى ذلك الجهد ، فلم أصنع معه شيئاً ، لما استقر فى نفسه من كراهية المدن وسوء الظن بأهلها . . . فتركناه مرغمين ، وودعناه آسفين !

* * *

وعدت إلى دمشق ، فانغمست فى لجة الحياة ، وغصت فيها إلى أذنىّ ، ونسيت صُلبيّ وصحبته ، وكدت أنسى الصحراء وأيامها ؛ ومرّت على ذلك شهور . . . وكان أمس ، فلمحت فى « باب الجابية » وسط الزحام الهائل وجهاً أعرفه ، فذهبت أنظر اليه ، فاذا هو وجه صُلبى بعينه وأنفه . . . فأقبلت عليه مسروراً :

ـ صُلبى . . . هذا أنت ؟

ـ قال : لا صُلبى ولا مُلبى . . .

ـ قلت : لم ويحك ؟

ـ قال أنا فى طلبك منذ ثلاث ، ثم لا تأتى إلىّ

ـ فقلت له ضاحكا : وأىّ ثلاث ، وأى أربع ، وأى

ى ؟ أتحسبها تبوك فيها ثلثمائة انسان ؟ إنها دمشق ياسلمى
ا ثلثمائة ألف نسمة ، فأين تجدنى بين ثلثمائة ألف ؟ . . .
قال : صدقت والله !

وأخذت بيده فاستخرجته من هذه الزحمة ، وملت به إلى
ىّ (مقهى) قريب ، فجلسنا فيه ودعوت له بالقهوة العربية
شامى فسر وانطلق يحدثنى ، فقال :

لما فارقتكم ورجعت أسير فى هذه البادية وحيداً ، شعرت
رحشة وحننت إلى هذه الأيام التى قضيتها معكم ، فاستعبرت
ملت ألوم نفسى وأقول : يا نفس ما كان ضرك لو أجبت
وم ووردت الشام فرأيت ما لم ترى ؟ ... وانصرفت إلى أهلى ،
ثت فيهم شهراً ، ثم دعانى الأمير فارتحلت اليه ، فاذا عنده
ط من أهل الحضر يريدون دليلا ، فسرت معهم أدلهم حتى
ت بهم مشارف الشام ، فدعونى وألحوا علىّ فاستجبت لهم
خلوا بى دمشق ...

فلما بلغنا « الميدان » وصرنا بين البيوت ، رأيت سيارة
كسياراتكم تلك ، لكنها أكبر وأضخم ، ولها نوافذ وفيها
رف ، وقد خطوا لها خطين من حديد فهى تمشى عليهما ، فقال
احبى : هذا هو الترام ، فتعال نركب فيه

قلت : لا والله ما أحب أن أركبه

فزينوه لى وحببوه إلىّ ، حتى استحييت منهم لطول ما يسألوننى
أبى ، فدخلت ويدى على خنجرى إن رأيت من أحد ما أكره
وجأته به ، وعينى إلى النافذة إن رابنى أمر قفزت الى الطريق ،
وجلست حذراً ، فما راعنى إلا رجل بثياب عجيبة ، قد شق
إزاره شقاً منكراً ، ثم خاطه حول فخذيه ، وارتدى برداء ضيق ،
قد عمد اليه فصفف فى صدره مرايا صغيرة من النحاس ما رأيت
أعجب منها ، فبدا كأنه قرد ... ولم أدر ما هو ، ثم رجع إلىّ
ما عزب من عقلى ، فقلت رومى مجنون من هؤلاء الروم الذين
يحكمون الشام ، وخفت إن أنا لنت له أن يسطو علىّ ، فسللت
خنجرى لأغمده فى صدره إذا هو انتهى الىّ ، فقام إلىّ
صاحبى يقول :

— مالك يا سلمى ، ماذا عراك ؟

— قلت : ألا ترى الرومى المجنون ؟

— قال : أىّ رومىّ يا سلمى ؟ وأىّ مجنون ؟

— قلت : هذا ؟ أما تراه ؟

— قال : هذا جابى الترام

— قلت : جبّك الله ! !

وسكت فقد أقبل هذا القرد على صاحبى ، فمد اليه يداً
كأنها حجر الرحى ، فوضع فيها من جُبنه قرشين ، فأعطاه بهما
فتاتة ورق فما رأيت والله صفقة أخسر منها ، وعجبت من صاحبى
إذ يشترى بقرشين اثنين ورقة ما تصلح لشىء ، ولكنى جلست
صامتاً ، وما هى إلا هنيهة أخرى حتى أقبل علينا رجل كالأول ،
رومى خبيث ، إلا أنه أجمل ثياباً وأحسن بزة ، فأخذ هذه
الأوراق فمزقها ... فثارت ثائرتى وقلت : هذا والله الذل ، فقبح
الله عربياً يقيم على الضيم ، ويرضى أن يسام الخسف ... وقمت
اليه فلببته وقلت له : يا ابن الصانعة ... أتعمد الى شىء
اشتريناه بأموالنا ، ودفعنا فيه قروشنا فتمزقه ، والله لأمزقنّ
جلدة وجهك ....

وحسبت صاحبى سيدركه من الغضب لكرامته ، والدفاع
عن حقه مثل ما أدركنى ، فاذا هو يضحك ، وإذا الناس
يضحكون لما يرون منى ، لأن عمل هذا الرجل - فيما زعموا -
تمزيق أوراق الناس التى اشتروها بأموالهم !

ولما نزلنا من هذه الآفة ، قال لى صاحبى :

— هلم الى الحمام ؟

— قلت : مالى وللحمام ؟

— قال : تغتسل وتلقى عنك أدران السفر

— قلت : إن كان هذا هو الحمام ، فمالى بالحمام من حاجة ،
حسبى هذا النهر أغطس فيه فأغتسل

— قال : هيهات ... إن الحمام لا يعدله شىء ، أو ما سمعت
أن الحمام نعيم الدنيا ؟

— قلت لا والله . ما سمعت :

— قال : إذن تسمع وترى . وأخذنى فأدخلنى داراً قوراء
فى وسطها بركة يتدفق منها الماء فيذهب صعداً كأنه عمود من
البلور ، ثم ينثنى ويتكسر ويهبط وله بريق ولمعان : صنعة
ما حسبت أن يكون مثلها إلا فى الجنان . وعلى أطراف الدار
دكات كثيرة مفروشة بالزرابى والأرائك والمتكآت كأنما هى خباء
الأمير . فلم نكد نتوسطها حتى وثب الينا أهلوها وثبة رجل

واحد يصيحون علينا صياحاً غريباً ، ويصرخون صراخ من به مس ، فأدركت أنها مكيدة مدبرة ، فانتضيت خنجرى وصحت بهم : مكانكم ، فوالله لا يدنو مني رجل إلا قطعت رقبته . . . فأحجموا ، وعجبوا ورعبوا ، فقال صاحبي : إنه عزح . ومال عليّ يعاتبني عتاباً شديداً ، فقلت : أفلا ترى صنيعهم بنا ، أتحب أن ندعهم حتى يأخذونا ، قال إنهم يرحبون بنا ، ويسلمون علينا لا يريدون حرباً ولا قتالا

فصدقته وأغمدت الخنجر ، وظن القوم أنه المزاح ، فعادوا إلى حركتهم وضجتهم ، يدورون حولنا بقباقيبهم العالية ، ويجيئون ويذهبون ، وأنا لا أدرى ما هم صانعون ، حتى قادونا إلى دكة من هذه الدكك ، وجاءوا ينزعون عنا ثيابنا ، فتحققت أنها المكيدة وأنهم سيسلبوننى خنجرى حتى يهون عليهم ، فقد عجزوا أن ينالونى وبيدى الخنجر فأبيت وهممت بالخروج . فجعل صاحبي يكلمنى ويحلف لى ، حتى أجبت واستسلمت ، وللموت أهون عليّ من أن أنزل عن سلاحى ، وأمنحهم سلبى حتى يسلبونى ، ولكنها المدينة دار الذل والمهانة ، وليست بالصحراء ، ولو أنى لقيتهم فى الصحراء لجعلتهم طعمة الوحش والطير ... حتى إذا تمّ أمر الله ولم يبق عليّ إلا الازار ، أرادوا نزعه عنى ، فقلت : أما من مسلم فى هذا البلد ؟ أما من عربيّ ؟ أتكشف العورات فلا يغير أحد ، ولا يغضب إنسان ؟

فهدأنى صاحبي ، وقال : أتغتسل وأنت متزر ؟

قلت : لمن الله نظافة الجسم إذا كانت لا تأتى إلا مع نجاسة النفس ، ويحك أترانى أضيع دينى وشرفى وأنكشف بعد هذه الشيبة ، وتذهب عنى فى العرب ، فتكون فضيحة الدنيا والآخرة ؟

قال : ومن أنبأك أنك ستنكشف ؟ هلا انتظرت ؟

ودعا غلاماً من أغلمة الحمام فقام دونى يسترنى ، ستره الله ، حتى خلعت إزارى واتّزرت بإزار أبيض أعطونيه ... وكان صاحبي قد تعرّى كما تعرّيت فأخذ بيدى فأدخلنى إلى باطن الحمام ، فإذا غرف وسطها غرف ، وساحات تفضى إلى ساحات ، ومداخل ومخارج ملتوية معوجّة يضلّ فيها الخرّيت ، وهى مظلمة كالقبر ، قد انعقدت فوقه قباب فيها قوارير من زجاج ، تضىء كأنها النجوم فى الليلة الداجية ، وفى باطن الحمام أناس جالسون إلى أجران ضخمة من الصخر ، عرى لا يسترهم شيء ،

فعلمت أنهم من الجن . وتعوذت بالله من الشيطان الرجيم ، وجـ
ألتمس آية الكرسى فلا أجدها ، فأيقنت لما نسيتها أن
منهم لا بدّ راكبنى ، وجعلت أبكى على هذه الشيبة أن تـ
سخرية صبيان الدن ... وإنى لكذلك وإذا بالخبيث يعود إلىّ
أن ينزع عنى هذا الازار الذى كسانيه ... فقلت : ويل أمهاتـ
ما ألأمكم ، أتأخذون ثيابى وسلاحى ، ثم تضنون على بثوب يستر
الرحمة يا مسلمون ، الشفقة يا مؤمنون ؛ أأفتضح فى الانس والـ

ووثب الجنى علىّ وأحدقوا بى وهم عرى ، فتقفّ والله
بدنى ، وامتلأت فزعاً ؛ فقال صاحبي وهو يضحك : أعـ
الأزار ، لقد أضحكت الناس علينا

قلت : ويحك ، وهل أبقى عريان ؟ قال : لا ، سنعـ
غيره . إن هذا جديد يفسده الماء

فاستخذيت وأطمت ، وما خوفى إلا من هؤلاء الجن أن
على أحدهم فيحرقنى ، أو يدفعنى دفعة فيلقينى وراء جبل قاف

ودخلت إلى مقصورة من هذه المقاصير ، فجلست الى الـ
حزيناً كئيباً لا أعلم ماذا يجرى علىّ ، فبينما أنا على تلك الـ
— وإذا بجنى عار كأنه قفص عظام ، له لحية كشوك السعدان
وددت أنها عشاء لجملى . . . وقد تأبط ليفاً غليظاً — يا
ما تأبط ! — وحمل ماعوناً كبيراً يفور فوراناً فتشهدت واستعذ
وعلمت أنه السم ، وأنه سيتناثر منه لحمى — وقصد الجنىّ إلىّ
فجعلت أفر منه ، وأتوثب من جانب الى جانب ، كأنى دجـ
تفر من سكين الجزار وهو يلحق بى ضاحكا ، ويعجب من
ويظن أنى ألاعبه وأداعبه ، وصاحبي يقسم لى أنه الصابو
— قلت : وما الصابون لا أمّ لك — أمصابون أنتم فى عقولـ
هذا هو السم ، لقد عرفته . . .

— قال : لا وأبيك إنه الصابون ، ولا ينظف شيء مثـ

— قلت : ألا شيء من سدر ؟ ألا قليل من أشنان ؟

— قال : والله ما أغشك بجرب ، ونطق الجنىّ فإذا
والله كلام الناس ، وإذا هو آدمى من أمثالنا ، فاطمأ
وجلست بين يديه ، وأقبل على يدلكنى دلكا شديداً ،
أنظر هل تساقط لحمى ، هل تناثر جلدى ، فلا أجد إلا
فظننت أنه قد أحسن الى ، وهممت بشكره ، لولا أن ظهر
شيخ سوء من القوم الذين أهلك الله ، فقد كان يتفافانى و

له من تحت الأزار ، فيمس فخذى وساقى ، فقلت : لو نجا منه حد ، لأنجتنى هذه الشيبة ، وجعلت أهم بهشم أنفه ، وهتم أسنانه ثم أدعه ، حتى انتهى وصبّ على الماء سخنا ، فشمرت والله كأنما نشطت من عقال ، وأحسست الزهو والخمة ، فصحت فأنكرت صوتى ، فقلت : ما هذا ؟ أينطق على لسانى مَن من الجن ؟ وأعدت الصيحة فازددت لصوتى انكارا ، فاستخفنى الطرب وجعلت أغنى وأحدو ، فقال لى صاحبى : هل استطبت صوتك ؟

قلت : إى والله ، قال : أفلا أدلك على باب القاضى ؟

قلت : فض الله فاك . مالى وللقاضى ؟ هل أحدثت حدثاً ؟ هل آويت محدثاً ؟ هل . .

قال : ألا تعرف قصة جحا ؟

قلت : لا والله ! فمن جحا ؟ وماهى قصته ؟

قال : كان جحا عالماً محرراً ، إلا أن فيه لوثة ، وكان خفيف الروح ، فدخل الحمام مرة فغنى فأعجبه صوته ، فخرج من فوره إلى القاضى فسأله أن ينصبه مؤذناً ، وزعم أن له صوتاً جميلاً ، لا يدخل أذن رجل إلا حمله حملاً فوضعه فى المسجد

فقال له القاضى : قم على المنارة فأذن نسمع ، فقام فأذن ، فلم يبق فى المسجد أحد إلا خرج هارباً يتعوذ . . .

فقال له القاضى : أى صوت هذا ؟ هذا الذى ذكره الله فى الكتاب

قال : أصلح الله القاضى ، ما يمنعك أن تبنى لى فوق المئذنة حماماً ؟

* * *

ولمح « صابى » أعرابياً من أهل نجد يمر فى الطريق ، فقال لى : انتظر ! وخرج يعدو وراءه . . . .

. . . . ثم لم يعد !

على الطنطاوى

اعلان مناقصة

تفتيش مبانى بحرى القاهرة — الكائن بالدور العلوى

بوزارة المواصلات

يوم ٢٩ فبراير سنة ١٩٣٦ الساعة ١٢ ظهراً

مناقصة عملية انشاء مطعم ومطبخ لمدرسة شبرا الابتدائية للبنين

ويمكن للمقاولين الدخول فى هذه الأعمال كلها والحصول على المستندات من التفتيش المذكور نظير مبلغ ٥٠ مليم ٢ جنيه (جنيهان مصريان وخمسون مليما لا غير) ، كما يمكن للمقاولين الاخصائيين الدخول فى جزء منها حسب اختصاصهم ، وتباع مستندات الأعمال الاعتيادية بمبلغ ٣٩٥ مليم ١ جنيه (فقط جنيه مصرى وثلاثمائة خمسة وتسعون مليما لا غير) والأعمال الصحية بمبلغ ٦٣٥ مليم (فقط ستمائة خمسة وثلاثون مليما لا غير) والأعمال الكهربائية بمبلغ ٤٢٠ مليم (فقط اربعمائة وعشرون مليما لا غير) بخلاف أجرة البريد وقدرها ٣٠ مليم

وللمصلحة حق التجزئة

لجنة التأليف والترجمة والنشر

اللآلى

فى شرح أمالى القالى

للأبى عبيد البكرى

أتمت لجنة التأليف طبع هذا الكتاب الجليل وقد وقف عليه الأستاذ عبد العزيز الميمنى أستاذ الأدب العربى بمليكره وعنى بضبطه والتعليق عليه

والكتاب يقع فى نحو ١١٥٠ صفحة من القطع الكبير فى ثلاثة أجزاء مضبوطة أعلامه وأبياته وغريبه بالضبط الكامل

وثمنه سبعون قرشاً صاغاً عدا أجرة البريد

ويطلب من اللجنة ومن المكاتب الشهيرة